رسالة . . إلى الإخوة المؤمنين

الأخ عصام العطار

أيها الإخوة المؤمنون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فإنني أكتب إليكم هذه الرسالة لأؤكد لكم إيماننا بغايتنا وأهدافنا وتصميمنا القاطع على متابعة طريقنا مهما كانت العقبات ، ومهما غلت التضحيات ..

إنّ هذا الطريق هو سبيلنا إلى مرضاة ربنا ، وسبيل أمتنا وبلادنا إلى التحرر والعدالة والكرامة والتقدم .. وكل ما سواه في اعتقادنا ضلال

إنه طريقٌ صعب طويل .. هذا حقٌّ لا مِرْية فيه .. ولكن الغايات الجليلة البعيدة لا يوصل إليها طريقٌ سهل قصير .. وغايتنا بعيدة ومطلبنا جليل .. ولن نتحول أبداً إلى سياسيين سطحيين ، وانتهازيين مستعجلين ، يشترون الدنيا بالدين ، ويلصقون شعارات الإسلام على واقع اليسار أو اليمين ، والإسلام من هذا الواقع بريء ، ويرون مكانهم في ذيل هذه القافلة أو تلك ، طلباً لسلامة وأملاً في مغنم ، أو انجرافاً مع تيار .. وقد أراد الله لحملة رسالته أن يكونوا رادةً قادةً شهداء على الناس ، وأن تهتدي بهم الدنيا إلى الصراط المستقيم ، وأن تتحول بهم عن الباطل إلى الحق ، وعن الشر إلى الخير ، وعن الفساد إلى الصلاح .

نعم لقد مررنا بظروفٍ صعبة ، وتعرضنا أفراداً وجماعات لصنوف من الشدائد والمحن ، واجتمع علينا الشر في كل مكان من كل مكان .. ولكن لم يكن ذلك مفاجئاً للمؤمنين الواعين ولا مستغرباً منهم .. فهذا هو سبيل كل دعوة أصيلة وسبيل دعوتنا على الخصوص .

لقد سار رسول الله ﷺ في طريق هذه الدعوة وهو يتوقع من الخطوة الأولى ما سيلقاه من التكذيب والأذى والإخراج والقتال ..

(لقيه ورقة بن نوفل –أول نزول الوحي– وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى من قبل ، ولتكذّبنّه ، ولتؤذينّه ، ولتخرجنّه ، ولتقاتلنّه) .

ولقد كان كل ما توقع رسول الله ﷺ ، ورسم لنا ولكل جيل معالم الطريق ، دماً وألماً وصبراً وجهاداً متواصلاً ، ويقيناً راسخاً ، وثقةً لا حدّ لها بالله عزَّ وجلَّ وبنصره المؤكّد

ولقد كان المسلمون الأولون -أفراداً في العهد المكي ، وجماعةً على أبواب العهد المدني- على بيّنة من هذه الحقيقة أيضا .

سلكوا الطريق -وهم يرون كل أهوال الطريق- إلى الغاية التي يرخص في سبيلها كل بذل

ووطنوا النفس على مجابهة كل الدنيا ، والتضحية بكل ما في الدنيا ، واحتمال أقصى ما يتصور في هذه الدنيا .. لا يستعجلون النتائج ، ولا يطلبون إلاّ الجنة ومرضاة الله عزَّ وجلّ

قال خباب بن الأرت رضي الله عنه :

(شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ - وفي رواية : وَقَدْ لَقِينَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً - قُلْنَا لَهُ : أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا : قَالَ : « **كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ** » رواه البخاري

ولما اجتمع الأنصار لبيعة رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري : (يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم . قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ، فمنَ الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإنّا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيّنا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه) . وكان لهم من بعد ذلك النصر ، وتغيّر بهم تاريخ الدنيا .

ونحن الآن بحاجة إلى مثل هذه البيعة وإلى أمثال هؤلاء الرجال .. وسيكون لنا بعد ذلك النصر الذي كان ، مهما طال الزمن ، وتوالت المحن

إنّ الشدائد أيها الأخوة ، وإن التحديات الكبيرة ، إمّا أن تهزم الإنسان وتسحقه ، وإما أن تستخرج أقصى طاقاته وتجعله بطلاً يرتفع على الشدائد ، وينتصر على التحديات .. ونحن الآن بحاجة إلى أبطال تثبت بهم الدعوة وتأخذ طريقها إلى النصر ..

أما أولئك الذين انهزموا أمام الشدائد وضعفوا أمام التحديات ، فنناشدهم ألا يولّدوا من هزيمتهم وضعفهم فلسفةً تلغي دور الإسلام المتميّز العظيم ، وتواري معالمه عن العيون ، وتشدّه يميناً وشمالاً ، ليرضى عنه هذا أو ذاك من الناس ، ولتبرّر وجوده بموافقة واقعٍ أو رأي .. وهو دين الله الذي يهيمن ولا يهيمن عليه ، والذي يجب أن يتغير كل واقع أو رأي يناقضه وينافيه ..

وأمّا الانتهازيون الذين يتاجرون بالإسلام ، ويبيعونه بالمزاد هنا وهناك ، ويستغلونه لخدمة سواه ، ويستخدمونه ويضحّون به لأحقر المنافع .. فنحن نحذّر منهم أشدّ تحذير

إنّ الإسلام في مثل ظروفنا الحاضرة يسهل استغلاله وتصعب خدمته .. ونحن بحاجة إلى من يخدمون الإسلام وعلى خطر ممّن يستغلونه ويستخدمونه ، ولا يميَّز بين هؤلاء وهؤلاء إلاّ بالإخلاص ، والإدراك ، والمعرفة بالإسلام ، وبواقع المسلمين ، والعالم الذي نعيش فيه .. فأين من يتجردون لهذا الأمر ولخدمة الإسلام على مستوى العصر وحاجات العصر ..

وأما المشكّكون من داخل الصف وخارجه ، الذين يُلقون في روع الشباب العاملين أن الإسلام لم يعد في إمكانه أن ينتصر وأن يحكم في هذا العصر ، وأن عليهم أن يتخلوا عن هذا المطلب الكبير ، ويقنعوا ببعض الجزيئات ، والفروع ، والرموز التي قد تدل عليه من بعيد ، والعناوين التي لا يندرج تحتها ما تقتضيه .. أما هؤلاء فإننا نقول لهم : إنّ ثقتنا بانتصار الإسلام تنبع من إيماننا بالله عزَّ وجلَّ وبوعده الصادق في كتابه الكريم ، وتنبثق من اعتقادنا بأن الإسلام هو ما تحتاجه أمتنا وبلادنا والدنيا في هذا العصر ، لتنقذ نفسها مما تعانيه ، وتجد طريقها القويم .. وقد أنزله الله عزَّ وجلَّ ليبلي حاجات البشر ، ويكون سبيلهم إلى خير الدنيا والآخرة في كل عصر ومصر ، وليبقى النور الهادي لهم على الدوام

وأحب أن أقول للذين يجعلون من فشلهم في خدمة الإسلام وخدمة الأمة به .. مبرراً للتشكيك في مستقبله ، وفي القدرة على حكم الحياة به .. أحب أن أقول لهؤلاء ما قاله الفيلسوف الألماني نيتشه :

(وإذا فشلتم أنتم فلا تقولوا فشل الإنسان)

إذا فشلتم أنتم فلا تقولوا فشل الإسلام .. وفشل العمل للإسلام ، وسيفشل كل عامل ..

إنّ الإخفاق والنجاح لا يقاسان في حياة البشر بالشهور والأعوام ، وإذا كان ثمّة إخفاق فمصدره نقصنا نحن لا نقص المنهج الإلهي العظيم ، وقصورنا عن أداء الواجب على الوجه الأمثل ، واتخاذ الأسباب التي أمر باتخاذها الله عزَّ وجلّ .. وواجبنا أن نعترف بذلك بجرأة ، وأن نفتش عن مكامن العلّة فينا بإخلاص ، وأن نواجه أنفسنا بشجاعة وصدق ، وأن نستفرغ جهدنا في جعل أنفسنا على مستوى مهماتنا وواجبنا الضخم ، وألا ندّخر وسعاً لنكون جديرين بالإسلام وبتحقيق أهدافه العظمى .. ولا بد أن يجد الإسلام فينا أو في غيرنا -إن تولينا لا سمح الله- رجاله الذين يجسّمونه ، ويعيشون به وله ، وتنفتح بإيمانهم ووعيهم وجهادهم الدائب أبواب النصر

ولقد رأينا على توالي العصور في تاريخ أمتنا ، وأقطار بلادنا ، ما ظنّه الناس انتصارات لغير الإسلام .. ثم ذهبت كلها ذهاب الزبد وبقي الإسلام العظيم ، وبقيت ببقائه الأمة والبلاد ، وسيذهب كل انتصار موقوت للباطل ، ولن تعلو إلاّ كلمة الله عزَّ وجلّ

فيا أيها الإخوة المؤمنون ، اشحذوا عزائمكم ، وأحيوا ثقتكم بربكم ودينكم وأمتكم ، وجددوا عهدكم لله عزَّ وجلَّ على الجهاد في سبيله كما أمر ، ووطّنوا أنفسكم وأكدوا تصميمكم على متابعة السير في طريقكم المتميّز ، إلى أهدافكم البينة ، وغايتكم الناصعة ، وانطلقوا متوكلين على الله حتى تظفروا بإحدى الحسنين ، الشهادة أو النصر

ولا تربطوا عملكم بالنتائج القريبة والمكاسب المادية والدنيوية ، إن توقعتموها عملتم ، وإلاّ انصرفتم عن العمل ، فهذا شأن المرتزقة لا شأن المؤمنين ..

أمّا المؤمنون الصادقون فحسبهم أن يكونوا مع الله ، ومع الحق الذي أنزله الله ، يجاهدون في سبيله ، ويموتون من أجله ، ويرون جزاء الله عزَّ وجلَّ خيراً من مكاسب الدنيا التي يتراكض إليها ويتهافت عليها الذين لا يرجون الله واليوم الآخر

﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۞ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧-١٥٨]

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته